الملك عبد العزيز كما صوره الشعراء العرب

● عبد الله بن ادريس

لأن الشعر من طبيعته الايجاز التعبيري والتناسق اللفظي ، وتركيز المضمون في أضيق دائرة ممكنة من جيد الكلام وقليله ، حتى انه ليشبه أقراص « الفيتامينات » التى تعتصر وتستخلص لتختصر عشرات الارطال من المواد الغذائية في « جرامات » محدودة بعكس النثر الذى يعتمد على التفصيل فيما يعمد الشعر الى ايجازه ـ لهذا السبب فان الشعر العربى المعاصر قد أتى على مناقب ومآثر الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بقدر يفي بما لا تفى به عشرات المجلدات من تاريخ وسيرة هذا الملك المؤسس على كثرة ماكتبه الكاتبون عنه من عرب واجانب ٠

وبصرف النظر عما يجب أن تستلهم منه سيرة وتاريخ الملك عبد العزيز بقدر اكبر ـ أهو الشعر أم النثر أم هما معا ؟ ـ فان الذى قد أصبح من الحقائق التاريخية والتى آن الأوان للصدع بها واستلهامها من ركام التاريخ العربي المعاصر ـ أن العرب لم يحظوا على مدى قرون بزعيم اجتمعت فيه صفات ومميزات الزعامة العربية والاسلامية معا، كما اجتمعت في الملك عبد العزيز الذى أرى انه سبق زمانه نضجا ووعيا وحنكة سياسية بمستوى لم يبلغ شأوه فيه أى زعيم عربى او مسلم سواه ، مع الاخذ في الاعتبار ضعف امكانات بلاده المادية والادارية حينذاك ضعفا يعجز عن تحقيق بدائيات الحياة اللازمة لبناء أساسات المملكة التى انشأها من شبه العدم ، وما كانت ثروة المملكة بالقدر الكبير الا قبيل وفاته ـ رحمه الله ـ بسنين قليلة ٠

وما دام الشعر هو ـ كما أسلفت أنفا ـ يشبه الخلاصات الغـذائية المركزة (فيتامينات) حيث يوحي البيت والبيتان أو الابيات القليلة من المعاني الجزلة الوافية والصور البديعة بما لايوحي به المقال الضافي ـ فان شخصية الملك عبد العزيز وتاريخه وسيرته الذاتية ومناقبه ومآثره يحسن أن تستقي من الشعر الذي قيل فيه أكثر مما تستقي من كتب التاريخ والسير وذلك لمن يريد أن يحيط احاطة موجزة مركـزة بصفات هذا الزعيم الفذ وسـيرته الذاتيـة .

وقبل أن نبتعد عن الاشارة الى ما يحويه موجز الشعر من كثـير المعـاني للمضمون المراد نورد شـيئا من الابيات الشعرية التى احتوت فيضـا من سـجايا ومناقب الملك عبد العزيز في عبارات محدودة معدودة ، لكنها لو حللت وفصلـت تفصلا نثريا لاشغلت مئات الصفحات بدلا من وقوعها الشعرى في سطور قليلة .

ولنبدأ بمثل من شعر الشاعر المرحوم الشيخ محمد بن عبد الله بن عثيمـين في أول قصـيدة مدح بهـا الملك عبد العزيز الذى قال ، بعـد أن ذكر كبار الرجال وأكارم الاقوام الذين لقيهم أو سمع بهم :

لكـن اوراهمـو زندا وأسـمحهم ... كفـا وأشـجعهم ان جـال أقـران
« عبد العزيز » الذى نالـت به شـرفا ... بنـو نزار وعزت منـه قحطـان
مقـدم في المعـالى ذكره أبـدا ... كما يقـدم باسـم الله عنـوان

ففى هذا البيـت الاخير جدة وتوليد معان مبتكرة وان كان فيـه شيء من المبالغـة ، ثم يقـول :

خبيئـة الله في ذا الوقت أخرجهـا ... وللمهيمـن في تاخـيرها شـان
ودعـوة وجبت للمسـلمين بـه ... أمـا ترى عمهـم أمن وايمـان (١)

وفي هذين البيتـين من محتوى سـمات الملك عبد العزيز وقيمته الشـخصية المنسوجة بمواهبه الفطرية ـ ما تعجز الصفحات الكثر عن استيعابه وهذا يظهـر مزية الشعر على النثر ولو لم تكن المقارنة واردة هنا ، وقريب من هذا المعنى قـول الشاعر احمد ابراهيم الغزاوى ـ أمده الله بوافر الصحة وطول البقاء ـ :

عبد العزيز وطئـت ها مات العـلا ... وبك اسـتطالت يعـرب ونـزار
درجـت سـنون بالمئـات نعدهـا ... لم يعـل فيهـا للبـلاد منـار
حتـى استقـدت زمامها فجعلتهـا ... أرضـا تقـدس بالتقى وتـزار
فاصـاب (حد الله) كل أخي هـوى ... حقـت عليـه شـقوة وخسـار
ومضيـت من شرق الجزيرة هـازئا ... بالأقـوياء ولم يهلـك خمـار
فاذا الشمال مـع الجنـوب وغربهـا ... دعما لعرشـك والحدود بحـار (٢)

والشاعر الغزاوى يشير بالبيت الاخير الى توحيد الحجاز ونجد والاحساء وعسير وتهامة وبقية المناطق والاقاليم في كيان واحد هو (المملكة العربية السعودية)

اهم ما ركز عليه الشعراء في حكم الملك عبد العزيز ·

لو اردت استلال مناقب وسجايا وفروسية الملك عبد العزيز من اشعار الشعراء العرب الذين عاصروه من أول أمره وحتى رحيله فاعتصروا فيه أجمل مشاعرهم وسكبوا فيه عصارة اعجابهم بتلك المناقب والسجايا ـ لو أردت ذلك لما اتسع له بحثى هذا بل لاستوعب المجلدات، وما أريده هنا هو مجرد الالمامات والايماءات الخاطفة مع التركيز نوعا ما على ما ركز عليه الشعراء مما استلفت انظار العرب والمسلمين اليه فعلقوا عليه ـ بعد الله ـ كثيرا من أمالهم وتطلعاتهم ، باعتباره زعيما منقذا لامة ترد في شفير الذلة والمهانة والجهل والشتات وضياع الاصالة العربية والصفاء الاسلامى ،·

وقد كان ـ رحمه الله ـ فوق ما أملوا ووفق ما استشرفوا ·

ولقد كانت تطلعاته الكبرى وطموحه الواقعى المعتدل في بناء الدولة الحديثة يستهدف في الدرجة الاولى من اهتماماته ثلاثة اسس رئيسية هى :ـ

١ ـ بناء الوحدة العربية في البداية كمقدمة لبناء الوحدة الاسلامية في النهاية ·

٢ ـ تطهير العقيدة الاسلامية من الخرافات والبدع والاضاليل التى كانت قائمة في بعض مناطق المملكة ·

٣ ـ احياء امجاد الجزيرة العربية واستتباب الامن فيها ·

١ ـ الوحدة العربيه ·

لعل الاغلبية المطلقة لحروب الملك عبدالعزيز التى خاضها في الجزيرة العربية بدءا بفتح الرياض عام١٣١٩هـ وانتهاء بمعاركه مع امام اليمن (يحى حميد الدين) عام ١٣٥٣ هـ كان يحكمها ويوجهها هدف واحد هو جمع شتات ما تفرق من القبائل والمناطق العربية المبعثرة في اكبر مساحة من شبه الجزيرة العربية ، وصهرها في قالب الاخوة العربية الاسلامية الواحدة لتتمثل ـ بالتالى ـ

في كيان وحدة سياسية ذات وزن وثقل دولي عرف منذ عام ١٣٥١ باسم (المملكة العربية السعودية) فكان الملك عبد العزيز بذلك اول زعيم عربي في العصور الاخيرة يعمل الخطوة الكبرى في سبيل الوحدة العربية الشاملة ٠

وليس هذا الانجاز التاريخي بالامر الهين في أنظار العرب الذين طال ما قاسوا وتألموا من الفرقة والشتات وتمزقهم الى دول ودويلات لا زالت حتى الأن تعاني هذا التمزق ٠ وكان الشعراء هم لسان الامة ومقولها الفصيح الذى يعبر اصدق واجمل تعبير عن آلامهم وآمالهم ، لذلك سجلوا في شعرهم عمل هذا الزعيم العربي الصميم ابن الصحراء العربية الصميمة ٠

يقول الشاعر العربي الكبير خير الدين الزركلي في قصيدة (تحية الجزيرة):ــ

يانفس بلغت قصدا — وعاد أمرك جدا
دعا الحجاز ونجدا — داعي الحياة فجدا
واستبسلا والليالي — تعج برقا ورعدا
وأقبلا والاماني — تلوح يمنا وسعدا
ما كان بالامس قربا — من كان يطلب بعدا
ما كان بألامس صدا — قد اصبح اليوم ودا

ثم يتابع الشاعر وصفه لمعالم الوحدة التي بدأها الملك عبد العزيز فيقول :ــ

العرب بالعرب تحيا — وبالتفرق العرب تردى
من حمل النفس غلا — فقد تحمل ادا
يد الجماعة تعلو — والفرد يسقط فردا

ويتحمس الشاعر للوحدة التي بدأت من قلب الجزيرة العربية على يد الملك عبد العزيز فيقول :ــ

عاهدتكم وتعالوا — نجدد اليوم عهدا
نحمي الجزيرة من كل — أجنب يتعدى
نصون كل ابن «ضاد» — من أن يترب خدا
ونجمع الشمل حتى — يصافح «الشام»«نجدا»(٣)

ويقول الشاعر العراقي الكبير عبد المحسن الكاظمي داعيا للوحدة التي يدعو

لها الملك عبد العزيز بمناسبة توحيد المملكة :-

يا ايها العرب تعالوا | نحتكم الى الرشد
لم لا نوحد القوى | جميعها ونتحد
تحت لواء واحد | يخفق في كل بلد

ثم يتابع قائلا :

ياحبذا «الرياض» من | ملتجا لمن قصد
وحبذا « مكة » من | أمنية لمن عبد
وحبذا « جدة » | والبشر لديها مطرد
هناك تبلغ المنى | وها هنا السعى حمد
لولا السقام لم يعفن صاحب ولا ولد
في مثل هذا اليوم | والايام تبلى وتجد
بويع أسمى ملك | يسير في المجد صعد (٤)

ويشارك الشاعر الكويتي محمود شوقى الايوبى في اعلان الفرحة والابتهاج بمسعى الملك عبد العزيز لتحقيق الوحدة العربية :

هو الملك الحامى تراث جدوده | من العرب لم نعرف شبيها به خدنا
سعى يجمع الشمل المبدد في الحمى | وفي الله لم يطلب لفعلته منا (٥)
تلبيك يا « عبد العزيز » نفوسنا | فها نحن في الهيجا فخذ عهدنا منا
نريد حياة للعروبة حقة | نريد حياة العز ياسيد المغنى
فيا غاية الابطال أنا على الولا | فو الله لم ننقض عهودا ولا خنا (٦)

٢ ـ تطهير العقيدة وتحكيم الشريعه •

كان لمحاربة الملك عبد العزيز جميع مظاهر الانحراف الدينى المتمثلة في البدع والخرافات التى كانت موجودة في بعض أجزاء المملكة ، وتحكيمه للشريعة الاسلامية، واقامته حدود الله في طول البلاد وعرضها ـ كان لذلك اعمق التأثير في نفوس العرب والمسلمين الذين ذاقوا ما هو أمر من الحنظل في معانات ومعايشة الضلال والتخريف والانحراف عن صفاء العقيدة ، وذلك قبل تخليصها من هذه الشوائب والمؤثرات الضارة بها على يد المؤسس المصلح الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ وكان

العرب والمسلمون في حالة من شبه الضياع الديني والدنيوي ، وكانت النفوس المؤمنة والعقول المدركة تتوق في لهفة وشوق ملح الى ظهور زعيم يقود السفينة المائجة في هياج الامواج الى شاطيء الامان والسلامة ٠

ولما لمع نجم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود في آفاق الجزيرة العربية ثم استشرفت له آفاق العالم العربي والاسلامي ، أصبح قوام حكمه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعد سائدا في مملكته من المذاهب الا المذهب السلفي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله واجماع الصحابة رضوان الله عليهم ، وهي أصول الاسلام الثلاثة ،

وتفاوت الشعراء العرب في الاهتمام بهذا الاتجاه الاسلامي الصحيح في نوعية حكم الملك عبد العزيز فكان تأثر شعراء بعض الاقطار العربية أقوى منه في شعراء أقطار أخرى ، لاسباب أهمها :ـ

أ ـ الايمان والتجرد من الهوى والنزعات الاقليمية لدى علماء وشعراء ذلك القطر او الاقطار التي فرحت وتحمست لهذا الحكم الاسلامي السلفي ٠

ب ـ وقوع ذلك القطر او الاقطار تحت هيمنة الخرافيين ومشيخات الطرق الصوفية العابثة بالقيم الاسلامية في مجتمعاتها ٠

جـ ـ وجود من يحمي ويسند دعاة التخريف والتصوف المنحرف من قوى الاستعمار الاجنبي الذى ساعد ولا زال بكل ما يملك على تشجيع تخريب الدين الاسلامي وتشويه صوره الجميلة بذلك التضليل الصوفي القذر ٠

علماء الجزائر وشعراؤها

ولعل من اهم الاقطار العربية التي واكبت انتفاضة الملك عبد العزيز بكل اعتزاز وتقدير ـ القطر الجزائري الشقيق ٠

وسبب ذلك ان (جمعية العلماء) في الجزائر التي أسسها العالم السلفي (عبد الحميد بن باديس) في اوائل هذا القرن ، ثم خلفه في رئاستها العالم السلفي الاديب (محمد بشير الابراهيمي) رحمهما الله ـ كانت جمعية سلفية متأثرة كل التأثر بالدعوة الاصلاحية السلفية التي قام بها المصلح المجدد الشيخ (محمد بن عبد

الوهاب) رحمه الله ، وهذه الحملة كان لها الفضل الكبير في تربية الشعور الديني والقومي لدى الجزائريين عامة والشعراء منهم بوجه خاص ، فقد حارب شعراء الجزائر بكل عنف وقسوة الصوفية الضالة ومشيخات الطرق المشعشة في تلك البلاد بخرافاتها وشركياتها المتمثلة في عبادة الاضرحة ومن يدعون الاولياء والصالحين .

ولقد قام الشعراء الجزائريون قبل الاستقلال ، بدور هام وحاسم في القضاء على الظواهر الوثنية في الجزائر من توسل بالاولياء وطواف بقبورهم وتضليل مشايخ الطرق المتعفنين حتى اختفت هذه الظواهر من الجزائر كليا .

ولقد أحببت أن أقف بنفسي على حقيقة هذا الامر لأتأكد من صحة وقوعه واستمراريته ، وذلك عند ما كنت في الجزائر في شهر ربيع الآخر ١٣٩٥ هـ لحضور (مؤتمر الادباء العرب العاشر) ، وحقا لقد تأكد لي أنه لم يعد احد من الجزائريين يزور ضريحا من الاضرحة أو يتوسل بأي ميت من الاموات كما هي الحال في بعض البلاد العربية ، لان ذلك أصبح سبة وعيبا شنيعا لدى الرأى العام والخاص في الجزائر .

ونصل من هذا الى القيمة الاعتبارية التي جعلت من الشعراء الجزائريين ألسنة حق ومقاول صدق في التغني بامجاد ومآثر الملك عبد العزيز والترحيب بحكمه المبني على تعاليم الاسلام ومنهاجه .

يقول الدكتور صالح خرفي (٧) في كتابه (الشعر الجزائري) :

« تقف حركة (الوهابيين !) التي بلغت بعدا جديدا في تاريخها بانتصارات آل سعود الحديثة في مصاف الاحداث الاسلامية الكبرى التي شدت انتباه الجزائريين وتعلقت بها مشاعرهم ، فقد كان الحجاز يعيش في العشرينات والثلاثينات اياما تاريخية في انتفاضة آل سعود ، وكانت الحركة (الوهابية !) تلتقي مع اختها الاصلاحية في الجزائر في اكثر من واجهة وناهيك بمحاربة البدع والضلالات والرجوع الى الكتاب والسنة » ، « وان خطبة يلقيها (عبد العزيز بن سعود) في سنة ١٩٢٨ م كافية لتثير هذه التطلعات وتذكي هذا الحنين في الشعر الجزائري فيستقبلها الشاعر (رمضان حمود) بقصيدة بعنوان (نجم العرب) :

الله اكبر نجم العرب قد سطعا ... وبات دين الهدى في الارض مرتفعا
فتح من الله والنصر المبين أتى ... فحقق الله آيات بها صدعا
في الشرق قاطبة سر الحياة نما ... وكان فيما مضى بالذل مقتنعا
في كل ناحية نار مؤججة ... تحرق الجهل والتضليل والبدعا
من جانب الشرق في قلب الجزيرة ... من مهد النبوة قوم بدرهم طلعا
احيوا معالم دين الله وانتقموا ... من كل من ضيع الاسلام وانخدعا
وطهروا تربة للمسلمين غدت ... ارضا مقدسة فيها الهدى شرعا
وصيروها لحج الناس آمنة ... بفضل سيفهم البتار اذ لمعا
حى البطولة في شخص له خفقت ... تلك الربوع فصار الدين متبعا
(ابن السعود) امام المسلمين ومن ... بحكمه العدل بين العرب قد جمعا (٨)

ولمع نجم ابن سعود في الشعر الجزائرى زعيما مصلحا وقائدا حربيا تترامى اخبار وثباته في الميدانين الديني والسياسي فتتلقاها الجزائر بلهفة المحروم منها ، فتنطلق وفود الحجيج مجسدة لذلك الحرمان وتعود رواة لتلك المواقف يستقبلها الشعب بيقين يشبه الظن وتصديق يشبه الكذب ، فان تغلغل الانحراف في الجزائر يشوب النفوس بالحيرة ازاء كل موقف اصلاحي .

(وحمزة موكوشه) الشاعر يحيى وفد الحجيج بهذا الشك المتطلع الى اليقين في مواقف (عبد العزيز) فهو يستقرؤها موقفا بعد آخر وينقط استفهام متلاحقة ، وهو لا يعدد هذه المواقف لابن سعود فحسب بل لرجل الاصلاح في الجزائر حتى يأخذ بها ، ومن خلال هذا التعداد تتضح لنا معالم الانحراف الديني الجزائرى :

احقا قضى عن كل صاحب بدعة ... قضى عمره للمحدثات مجاريا ؟
احقا قضى عن كل صاحب قبة ... يطوف بلاد الله للمال جابيا ؟
احقا قضى عن كل صاحب سبحة ... بسبحته بين العباد مواريا ؟ (٩)
يظن عباد الله مرزعة له ... يجنى اثمارا قطوفا دوانيا
ولما بدى (سعد السعود) على السما ... تولى به الشيطان بالرجم هاويا
لعمرك ما مثل (السعود) مملك ... أعاد لنا تلك العصور الخواليا

وما عابه في الناس الا مختاتل جهول ، الى هدم الحقيقة داعيا
وهل ضر بدر التم في اوج سعده وشمس الضحى من كان بالارض عاويا (١٠)

ونورد مثالا أو نموذجا ثالثا لشاعر جزائرى آخر هو (عثمان بن الحاج) :ـ

بالله كيف تركتمو ذاك الحمى بالعدل يرفل ظافرا مكفولا
أرايتمو عز العروبة ظاهرا والدين مرعى الجناب جليلا
و (الأمن) في تلك الربوع مخيما والسيف في عرض البلاد سليلا
(عبد العزيز بن السعود) بنى لها مجدا على هام العصور أثيلا
فالله يحفظه ويحفظ امة عربية بلغت به المأمولا (١١)

ولما توفى الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ نعاه كبير شعراء الجزائر (محمد العيد خليفة) عظيما من عظماء الشرق ، ولم ينس له رعايته الكريمة لابناء الجزائر المهاجرين في البقاع المقدسة ، فرارا من الظلم والاضطهاد حيث وجدوا في هذه الرعاية ما أنساهم الالتفات الى ما تركوه وراءهم :ـ

لك الويل من نعى به هتف البرق فريع له الاسلام واضطرب الشرق
فقدنا مليكا عادلا ظهر الهدى بانصافه في الحكم ، وانتصر الحق
اقام حدود الله بالسيف وازعا وبالدين قانونا فدان له الخلق
سلام على ليث الجزيرة في الثرى مسجى بطيب الذكر يند به الصدق
الا ايها الحامى الجزيرة اننا نحييك عن شعب برى جهده الرق
عطفت على من جاء منه مهاجرا فلم تلتفت منه الى أرضه عنق (١٢)

هذا أنموذج من مشاعر الشعراء الجزائريين نحو الملك عبد العزيز الذى قال في نعيه العلامة الجزائرى رئيس جمعية العلماء (محمد بشير الابراهيمى) « للمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود عاهل الجزيرة العربية مكانة سامية في نفوس المصلحين بالجزائر لما اشتهر به من اقامة حدود الله والقضاء على البدع والاضاليل واحياء السنة النبوية ، وتأمين سبل الحج » (١٣)

٣ ـ احياء أمجاد الجزيرة واستتباب الامن فيها :

لم يعد للجزيرة العربية بعد القرن الاول الهجرى ذلك الشـأن الذى يذكر ، رغم انها كانت مهبط الوحى ومشرق الرسالة الاسلامية ومنبت العروبة وأم البلاد العربية ... وذلك لفقدان نشاط واهتمام الخلافة الاموية ثم العباسية ثم العثمانية ـ بأوضاع هذه الجزيرة العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ذلـك أن نشاطات الخلافة الاسلامية في أغلب عهودها كانت محصورة بحواضر الخـلافة وعواصمها في (دمشق) و (بغداد) و (قرطبة) و (القسطنطينية) وما بينها .

اما الجزيرة العربية فلم تقم لها قائمة ذات شأن يذكر ، فيما عدى الحرمـين الشريفين بمكة والمدينة ، واستمر الحال ـ حال اهمال الجزيرة العربية من لـدن الخلفاء والزعماء العرب والمسلمين ـ الى أن قامت الحركة الاصلاحية السلفيـة النجدية وهي أول حركة اصلاحية في العالم العربي على يد المصلح المجدد الشيـخ (محمد بن عبد الوهاب) في القرن الثاني عشر الهجري وبمعاضدة ومساندة كلية من أسرة آل سعود ، أجداد الملك عبد العزيز الذي نحن بصدد البحث في حكمه من خـلال نظرات الشعراء العرب اليه .

نحن نعلم أن عبد العزيز جـاء الى الحكم في فترة من ضعف الحكم السعـودي وتفككه وفقدان السلطة الشرعية النظامية الحازمة ، فقد كانت أغلب مناطق (نجد) في أيدي منافسيه من (آل الرشيد) وكانوا يحكمون حكما هو الى البداوة ، ان لـم يكن بدويا صرفا ، أقرب منه الى أي حكم حضاري نظامي ، وكان منافسوه الآخرون من أشراف مكة يحكمون (الحجاز) حكما هزيلا فيه من اذلال الشعب الحجـازي واحتقاره وفوضوية الامن أو انعدامه كليا مايعلمه كل حاج قصد الى بيت اللـه الحرام ، وليست المناطق الاخرى بأسعد حظا من نجد والحجاز ، فجاء عبد العزيـز يؤسس من جديد الدولة السعودية الحديثة ، فكان له ما أراد من اقامة النظام والحكم الشرعي المعزز بالسلطتين : القرآنية والسلطانية وفقا لما جاء في الحديث الشريف « ان الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » وذلك بالنسبـة للعصاة والخارجـين

على النظام وهو ماقصده الحديث ، وبتطبيق النظام الاسلامي في الحكم واقامة حدود الله في جميع الانحاء من بلاده الواسعة استتب الامن وسادت الطمأنينة نفوس جميع سكان المملكة ، ولم يعد هنا من يخاف على نفسه أو عرضه أو ماله حتى وهو يقطع الفيافي ويطوي القفار وحيدا الا من المعية الالهية ثم هيبة السلطة الحاكمة التي قضت على السلب والنهب وسفك الدماء واشاعة الذعر والخوف بين الناس ، مما جعل المملكة العربية السعودية مثالا نادرا في العالم بأمنها واستقرارها ·

وهذا هو أعز وأغلى ماحظيت به جزيرة العرب في العصر الحاضر ، وهو ماأعاد لها مجدها ومكانتها الهامة في دنيا العرب والمسلمين ، وجعلها متعلق آمالهم ، وهو ماعناه الشاعر (خير الدين الزركلي) في قوله : ـ

هنالك من أبناء يعرب أمة — كملتمع الحدين زين بارهاف
حجازية نجدية ، مضرية — من الدين والدنيا لها البرد الضافي
تقدمها (عبد العزيز) فصانها — من الحلك المرئي والشرك الخافي
دعا فأجابته الجموع فقادها — فوحد أشتاتا وقام بأحلاف

يريد الشاعر الاحلاف بين القبائل العربية في عدم اعتداء بعضها على بعض ، ولايريد ـ قطعا ـ الاحلاف العسكرية مع الدول الاجنبية لان ذلك ليس من طبيعة المملكة ·

وما بدل الله البلاد وأهلها — ولكنها فازت برشد واسعاف
وعاد اليها أمنها بعد خوفها — فلا بغى فتاك ولا جور عساف
أقيمت على نهج السداد دعامها — وكانت على نهجي غرور واجحاف
بني الملة السمحاء والوطن الذي — وقاه من الارزاء مصقول أسياف
بنى لكم (عبد العزيز) وآله — بناء المعالي فاتقوا كل ارجاف
الا أن في شبه الجزيرة قوة — عزيز علينا أن ترام باجحاف
هي المعقل المأمول للعرب كلهم — هي الموئل المحمى من كل حياف

وللشاعر حسين عرب قصيدة في المرحوم الملك عبد العزيز بمناسبة مرور خمسين عاما على فتح الرياض يقول منها :

قمت بالامر منذ خمسين عاما — فاذ الامر حكمة وانتظام
واستقامت بك الشئون صلاحا — ينشر الدين للذين استقاموا
واقمت البناء طودا منيعا — شامخا ليس مثله الاهرام
هو للدين معقل ورجاء — وهي للبغي مصرع وانتقام
عجزت أن تنال منه الدعايات منالا ، وخابت الاوهام
انما يدرأ الاباطيل شعب — عبقري شعاره الصمصام (١٤)

ويقول فيه المرحوم المحقق الاديب محمد بن بلهيد :

ليهنك يا « عبد العزيز » مشاعر — حملت بها الاحداث عن كل مسلم
فضلت بهذا الامن كل متوج — بتاج المعالي من فصيح وأعجم
وصنت جناب البيت من بعد أهله — قريش وسكان الاباطح جرهم
فدر على سكانها كل مشرب — كما لذ في ساحاتها كل مطعم
اذا نعمة مدت رواق سعادة — فكفك في تثبيتها كف منعم (١٥)

وليس الشعراء المسلمون هم الذين تغنوا بمآثر وسجايا الملك عبد العزيز فحسب ·· بل حتى الشعراء النصارى من العرب لم يمنعهم اختلاف الملة مع عبد العزيز المسلم المحافظ على اسلامه في نفسه وفي حكمه من أن يبدو اعجابهم بعبقريته وانجازاته واعتزازهم بزعامته كرجل من عظماء الرجال في التاريخ ، وهاهو الشاعر اللبناني المسيحي (نقولا معلوف) يخاطبه في قصيدة له بعنوان (نسر الجزيرة) : ـ

ياجاعل البيد أمنا بعد وحشتها — لو أدرك العرب ماادركت لاستلموا
أنت الرجولة لاأثنى لواحدة — بلى ، لتأخذ منك الهمة الامم
لا التاج يبقى ولا الاعمار باقية — تبقى الرجولة والاقدام والكرم

جعلت باسمك تلك البيد آمنـة حتى مع الذئب راحت تسرح الغنم
صارعت دهرك فانحلت عزائمـه والناس فاستسلموا للحق واحتكموا

وأخيرا وفي خاتمة هذا البحث المقتضب أستميحكم ـ قرائي المحترمين ـ أن أورد أبياتا من قصيدة لي في رثاء المرحوم جلالة الملك عبد العزيز تعبيرا عن مشاعرنا نحو القائد المؤسس وتبيانا لبعض معالم النهضة الحديثة والتقدم الذي طرأ على المملكة في السنين الاخيرة من عمره من قصيدة نشرت في عدد خاص من مجلة (اليمامة) صدر بتاريخ ١٢/٣/١٣٧٣ هـ

يارافع الدين الحنيف على السهـا والجاعل الوحي الشريف شعارا
قد كنت للعرب الكرام أمينهـم ولدين ربـك حارسا ومنـارا
مشت العروبة في جيوشك مصلحا بل فاتحـا وممصرا أمصـارا
مشت الجحافل والفيالق حفـلا تحمي الذمار وتعمـر الاقطارا
حتى استتب لك الولاء ـ مظفرا ـ وخلقت شعبا واعيـا جبـارا
وشققت في صم الجبال ينابعـا تروي الحقول وتثمر الاشجارا
وفتحت أقفال البحار منقبـا عن خبر ما تحت البحار تـوارى
ونهضـت بالعرب الاباة مسايرا ركب الشعوب وعالما سـيارا
وجمعت شمل الضاد بعد شتاتهـا بالسيف لا وجـلا ولا خـوارا
وحكمت أرجـاء الجزيرة بالنهى والعدل لا ظلمـا ولا استهتارا
دستورك القرآن أشرف منـزل يعلي النفـوس ويرفع الاقـدارا
« خمسون عاما» بل تزيد «ثلاثة» أمضيت غرسـا فاجنها أثمـارا

★ ★ ★

ياراحلات ترك القلوب هليعـة والعين نهـرا والجـوانح نـارا
ان العروبة تفتديـك بروحهـا لو تستطيع تغـالب الاقـدارا
نـم في جـوار الله انك آخـذ للدين حقا والعروبة ثـارا «١٥»

عبد الله بن ادريس

المراجع

١ ـ ديوان محمد بن عثيمين ص ٦٩

٢ ـ جريدة أم القرى عدد ٣٩٩ الصادر بتاريخ ٢٣/ربيع الثاني ١٣٥١ هـ

٣ ـ خطوات فوق الصخور لمشاري بن عبد العزيز ص ١٢٢

٤ ـ المصدر السابق ١٢٨

٥ ـ عجز هذا البيت هو عجز للبيت الذي بعده في المصدر ولكني رأيت الكلام لايتسق ألا يربط هذا العجز بصدر البيت المذكور ، لأن هذا مقتضى مايريده الشاعر.

٦ ـ المصدر السابق ص ١٣٦

٧ ـ شاعر جزائري معروف وأستاذ حاليا في جامعة الجزائر ورئيس تحرير لمجلة الثقافة الجزائرية .

٨ ـ الشعر الجزائري للدكتور صالح خرفي ص ٧١

٩ ـ (عن) هنا بمعنى (على) لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض

١٠ ـ المصدر السابق ص ٧٣

١١ ـ ديوان محمد العيد خليفة ص ٤٨٢

١٢ ـ خطوات فوق الصخور ص ٧٦

١٣ ـ الملك عبد العزيز في مرآة الشعر لعبد القدوس الانصاري ص ٣٥

١٤ ـ ابتسامات الايام ، ديوان محمد بن بلهيد ص ١٢٦

١٥ ـ من ديوان عبد الله بن ادريس ، (مازال مخطوطا)